تعبت من الطيران

. محمد عبيد الله .

دائماً في اغترابي النبيلِ،
السّماءُ البعيدةُ أفقي
البحارُ ترانيمُ روحي،
أنا النورسُ المستباحُ.
الرياحُ
تهبُّ،
أطيرُ
بلا وطنٍ أو رفيقٍ
وأحلمُ... أحلمُ.
لكنّ دفتر عمري يذكّرني
بغيومٍ
تَشهّيتُ لو أنَّها عانقتْني
ومضت للبعيد البعيد.
إلى آخر الأرض وحدي أطيرُ
وأعلو
كأنّي تعبتُ،
كأنّ جناحيَّ قد هرما.
هل أكتفي
وأقول لروحي
كفى غربةً
وحنيناً؟
تعبتُ من الحلمِ
ما أبعدَ الحلمَ عنّيَ،
ما أبعدَ البيتَ.

❖ ❖

بيتي المضاءُ بما شاء قلبي من الوهمِ
لا بيت لي
فالنوارسُ دوماً بدون بيوت
تهيِّئُ للكائناتِ مشاهدَ بيضاءَ
ثمّ تموت.
يا إلهي
الصباحُ بعيدٌ
فكيف إيابي
إلى موطنٍ يترفَّقُ بي
إلى شاطئٍ لا يخون؟
السّماء البعيدة تنأى،
الرياحُ تلاحقني
وكأنّ الرحيلَ كتابي،
كأنّ الرحيلَ تميمةُ أمّي لروحي.
أذكرُ ما كانَ
أخشى الذي سيكونُ
وأَغْبطُ كلَّ الطيورِ عدايَ
تعودُ إلى بيتها
أنا لا أعودُ!
تعانقُ أبناءها كلَّ يومٍ
أنا لا أعانقُ غيرَ شبابيكَ مطفأةٍ
أو تصاويرَ للراحلين!

❖ ❖

بماذا حلمتُ
لكي يهربَ الحلمُ منّي؟
أردتُ فضاءً مضاءً
أردتُ مصاحفَ طاهرةً
لا تمسّ طهارتها
غير روحي.
أنا النورس الطفلُ
وحدي بكيتُ

وقلتُ لقلبيَ

ليسَ أوانُكَ هذا

فكُفَّ عن الحلم والنبضِ،

لكنّه ما استجاب.

فكمْ حقبةً يا إلهي

أطيرُ؟

وكم ليلةً سوف أحلمُ من بعد

حتى أعانقَ وجهًا حلمتُ به ألفَ عام

تمنيتُ ـ لو مرّةً ـ

في الطريق يفاجئني ويغيبُ؟

فكيفَ أظلُّ وحيداً؟

وهذا الفؤاد النبيُّ، لمن سوف أعطيه؟

مَنْ يأخذ العمرَ والسنوات

وأمنحه وردةَ الأنبياءِ؟

❖ ❖

تعبتُ من الطيران

كأنّي هرمتُ

كأنّي تركتُ الرياح

تركتُ العواصفَ باكيةً،

وتركتُ السنين

تكفكفُ أحزانَها

وتودّعُ عند المساء

آخرَ الشعراء.

ما الذي ظلّ لي؟

حلمي بكتابٍ أؤبّن موتايَ فيه

وآخرَ

أكتبُ فيه الكواكبَ والناس

أكتبُ قيسًا وليلى وكلَّ المحبّينَ،

أكتبُ قلبي إمامًا لهم

وأموتُ

شهيداً طريدا.

❖ ❖

وأسمعُ من ظلمة القبر همهمةً

وانتحابًا

يا محمّدُ:

متّ انتظاراً.. ومتّ نبيّاً وحيداً

سلامًا على روحه... وسلامًا عليّ

فقد كان، كنتُ، وحيداً وحيداً وحيداً

تماما.

عمّان